قصة : كمال حمدى

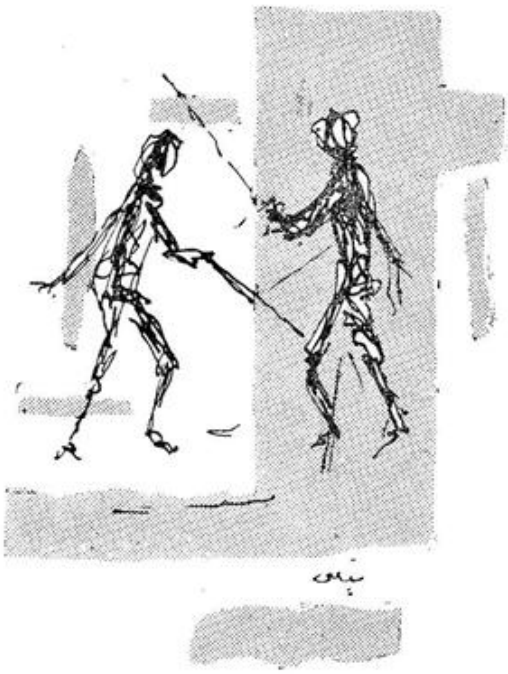

منطق الشك

ـ اسمحوا لى أن أتكلم ساعة واحدة ·· بلا مقاطعة ·· لا تخشوا شيئا ·· فما جئت للدفاع عن نفسى ·· انما جئت لاكشف لكم عن بعض خبايا نفسه ·· مثل ما كشف هو عن خبايا نفسى التى ساءتكم كثيرا ·· نعم سأكشف لكم الآن عن خبايا نفسه التى ـ لا شك ستسوءكم أكثر ·· وهناك قاعدة تقول ·· اذا اختلف اللصان ظهر المسروق·· وها نحن ـ الصديقان ·· نختلف أمامكم ··· اختلافا سيظهر منه أكثر من مسروق ··· بشاعتى ·· وبشاعته ·· أما بشاعتى فلقد وضحت لكم ·· وبقى لى أن أوضح مدى بشاعته ·· رد دين لا مفر له منه ··

والحقيقة أن اختلافنا غريب·· فالواقع أننا لم نختلف يوما قط ·· ولم يحدث بيننا سوء تفاهم ·· انما الذى حدث هو نوع من الغدر من جانبه ·· غدر ـ لاشك ـ أنه على جانب كبيرمن الادراك والوعى ·· فبينما هو ·· يكشف لكم عن سلوكى الخسيس بالنسبة لكم يمد يده لى فى الجانب الآخر ·· مصافحا ·· صادقا فى اخلاصه ·· على الاقل كما كان يبدو لى ··· والآن أدركت لعبته·· وكما غدر ·· سأغدر ·· بفرق بسيط ·· يداى الاثنتان أمامكم مبسوطتان·· لن تكون هناك يد تصفع · ·ويد تسلم ··بل صفعاتى ·· باليدين ·· لاخفاء هناك ··

أرسلت اليه انصحه ·· ألا يتزوج ابنتكم ·· أنا ابن عمها ·· أقرب الناس اليها ·· وذممت فيها ما شاء لى الذم ·· فاذا ما أرسلته اليه ·· دليلا يدينني عندكم ·· اطلعكم اياه بطريقة مسرحية صبيانية · ·

« هأنذا اكشف لكم عنه ·· انظروا كم هو خسيس ·· يأكل من خبزكم·· يشارككم أفراحكم ·· وتجرى دماؤكم فى عروقه·· ثم بعدهذا يكتبلى نصيحة صادقة خالصة ·· ألا انتسب اليكم ·· فنسبكم عار يخجل منه الانسان ·· لا تدخلوا هذا الشخص مرة ثانية الى المنزل ·· اطردوه ·· أوصدوا بابكم من دونه ·· »

ثرتم أنتم ·· وقررت أن تتبعوا ما **أمر به ·· ولم تسألوا أنفسكم ·· سؤالا واحدا بسيطا ··**

لماذا يطلعنا على تلك الخطابات ··؟

والأمر حتى وان كان فى صورة ذم·· لا يخرج عن كونه نصيحة من صديق الى صديق·· لاتجبره على شىء ·· يكفيه أن يجيبه·· برفض النصيحة·· وينتهى الاشكال ·· « وليمت العزول بغيظه » ··· هذا السؤال لم يتبادر الى أذهانكم ·· لانه لا شك ·· سيجر خلفه أسئلة كثيرة ·· تضع أنفسكم فى وضع محرج ·· لا قبل لكم به ·· هناك المثل الذى يقول « الذى ابلغك السوء ·· هو الذى أساءك » ··· وهناك السؤال ·· الذى يتبع ·· هل هذه الشخصية ·· جديرة بالانتساب اليها ·· تلك التى تغدر بأصدقائها على هذا النحو ·· وانتم تعلمون ·· مدى صداقتنا وعمقها ·· بل ان معرفتكم به ·· جاءت عن طريقى أنا ·· فكيف يحدث هذا ··؟

لن استطرد فى التجريح ·· فحمدى هو حمدى··· لا تخفى عليكم معرفته من تصرفاته ·· ولابأس أن تقبلوا عيوبه

·· **لكن السؤال** الذى أريد لكم أن تحاولوا معرفة اجابته ·· ما هو هدفه

الحقيقى من وراء اطلاعه لكم على تلك الخطابات ..؟! ما الذى يدفعه الى اتخاذ ذلك السلوك المشين .. الغدر .. الخيانة والفتنة والوقيعة ما المبرر ؟..

سنختلف لا شك فى الاجابة.. ولكن اجابتى الوحيدة .. التى أملك الدليل القاطع عليها .. هو انه يريد أن يدفعنى الى أن أغدر به .. كما غدر .. واكشف لكم عن رسائله .. التى تسوءكم أكثر من اساءة خطاباتى اليه .. تكشف عن تردده .. وسـؤاله لى الملح .. عن نصيحة . .أيقدم . .أم يحجم .. وعن وصف لابنتكم لا يشرف .. ذلك لانى لا أرسل له النصيحة .. الا اذا سألنى اياها .. وبعد هذا .. لايستطيع أحد أن يسلبنى .. حرية .. أن أنصح من أريد .. دون التقيد بأى اعتبار .. فالحقيقة .. يجب أن يضحى من أجلها كل شىء .. وأنا عاشق الحقيقة .. والآن .. آذا كشفت لكم عن رسائله .. ستضطرون الى فسخ الخطبة .. من جانبكم ان كنتم تملكون شيئا منالكرامة .. فلا يخسر هو شيئا .. وينتهى الامر الى ما يريد ...

ـ اطلعنا على تلك الرسائل ..

قالها الاب فى حدة ..

ـ لا شك .. سأطلعكم عليها .. ولكن هناك شرطا اشترطه .. فكما طلب هو ايصاد بابكم دونى .. اطالبكم بنفس الشىء .. اذا كنت صادقا فيماادعيه ..

ـ لك ما تطلب ..

ـ أريد قسما منها هى أن تفسخ تلك الخطبة فورا . .اذا كانت رسائله تحوى تجريحا مباشرا لها ..

صمت الجميع .. ولحظة التردد طالت أكثر مما ينبغى.. فأضفت ـ لكى اخفف من شرط القسم .. تلك الخطابات سأقرأها لكم . بعد القسم ـ لكنكم لن تروها حتى اتيح الفرصة لصديق العمر .. أن ينكرها .. اذا أنكرها هو .. سأنكرها أنا كذلك ... بمثالية مخضبة بكرامة مهدرة .. كرامتى أنا ..

نظرت اليها .. « يسرية » تلك الفتاة التى عشقتها منذ صباى .. تراها ماذا ستقول الآن .. الكلمة كلمتها .. ولكن .. كما يحدث الشىء غير المتوقع فى الحياة دائما جاء صوت حمدى فى تحد صارخ ...

ـ اقسمى لينكشف أصله .. أنا لم أرسل اليه شيئا من هذا أبدا ..

ـ لا تنكر الآن شيئا .. أرجوك .. يكفى منك ما أهنتنى به .. لن أدع لك فرصة اهانتى مرة ثانية .. هل فهمت .. انى اتيح لك أن تنكر ما كتبته .. بعد أن اقرأه عليهم ... أولا ...

اجابنى فى حدة صارخة ..

ـ الحق لى ـ انكرها قبل .. وبعد .. اقسمى .. أقول لكم صادقا ... ليس هناك ما أخشى منه .. اقسمى .. انت .. يسرية .. الحقيقة ستضيع .. ان لم تقسمى .. والحقيقة حتى وان كانت مؤلمة أفضل بكثير من الجهل الشاك ..

.. نهض الاب متثاقلا .. وكلامه الهادىء يتردد ..

ـ أطفال انتم أم كبار ·· اننا نريد أن ننهى المشكل الآن·· دون أن نخسركما أنتم الاثنين ·· اعتـذر يا حمدى له ·· عن سلوكك المعاب ·· لقد أخطأت حقيقة يا حمـدى ·· فى اطلاعنـا على تلك الخطابات ·· اعتذر له ·· ومن جانبنـا نحن ·· سننسى كل شىء ·· سنصفح عنكما انتما الاثنين ·· الحياة كلها هكذا ·· كلام يقال من الخلف ·· وينـكر من الامام ···

ـ كلا أبى ·· يجب أن تظهر الحقيقة مهما كان أمرها · كلمتها الاولى قيلت·· تريد الحقيقة ·· الآن ·· الحقيقة كانت بجوارها سنوات طوالا ··ولم تدركهـا ··فأى حقيقة تريدها ··؟

ينهض حمدى وبلهجة بطولية حاسمة تلفها المرارة من كل جانب ··

ـ ان اردتنى زوجا لك ·· يجب أن تثقى بى·· يجب أن تقسمى·· وصراحة ان لم تقسمى الآن ·· لا أستطيع الزواج منك ·· ما دمت ·· لا تثقى بى ··

ندت منى ضحكة ساخرة ··

ـ اذن فى الحالتين ·· لن يكون هناك زواج ··

عبارتى ·· خرجت دون تحـكم ·· ما كان يجب أن تقال·· اسرعت بالموقف الى نهـايته انتى لا أريدها ·· نهـاية تضعنى فى مأزق ولـكن ضيق تسـلط عليه الأضواء ·

ـ سأقسم لك ·· ما تريد ··

·· **قالتها** ·· ما كنت أتوقع هذا ·· فحمدى عريس جيد ·· من الخطورة المجازفة به ·· لـكن هـذا المأزق الذى دفعت اليه ·· اعددت مخرجه ·· بمنطق محكم لعبتى الاخيرة ·· « انتظرى ··· فسرت لك حقيقـة هدفه الدنىء ·· هو أن أكشف لك عن رسائله ·· بمـا فيها من خسة واهانة ·· تجرحك ·· فتفسخ الخطبة ·· من جانبك ·· ولا يخسر هو شيئا ·· فاذا اطلعتك على خطاباته ·· حقق هو هدفه ·· عن طريقى ·· ولكنى ·· الآن ·· الآن فقـط ·· لن اسمح لنفسى أن تكون وسيلة لتحقيق مآربه ·· فاسمحى لى ·· أن اعتذر ··وأن احجب عنك الرسائل ·· بل لأمزقهـا أمامك الآن ·· وسأكون أول المهنئين لزواجكما السعيد ·· لا شك » ·· عبارتى الاخيرة قيلت فى شىء من التمثيل البارع المتقن ··· وجاء صوتها الشاك يتردد الى أذنى ·· خافتا مؤلما ··

ـ ولـكنك ·· قد تـكون كاذبا ·· وهذه الرسائل لا وجود لها أصلا ··

جاءت اجابتى السـاخـرة ·· وأنا أودع ··

ـ اننا نعتبر الامور صادقة أو كاذبة وفقا لصـالحنا ·· والحكم لك الآن ·· ان اعتبرتنى كاذبا ·· فأنا كاذب ·· ولكن حذار من النعامة التى تخبىء رأسها فى الرمال ·· هربا من وحش مفترس·

ـ انت الوحش فعلا ··

رددتهـا ·· ويدها تمسـك بخـاتم الخطبة لتخلعه من أصبع مرمرى أبيض·

ـ أليس هذا ما تريد ·· أنا لا أريد بعد الآن ·· ان أشترك معكم فى أمثال تلك الالاعيب الوقحة ·· ابى ·· اذا سمحت اليك قرارى الاخير لن اتزوج حمدى ··

ـ لا تتسرعى ··· سينتهى كل شىء على خير ··

ـ أيا كانت النهاية ·· ومهما كانت التضحية التى أقدم عليها جسيمة ·· ومهما كان القرار خطيرا ·· هذا هو قرارى النهائى ·· أرجوك ·· ألا تراجعنى فيه ·· مرة ثانية ·· أبدا ··

·· قامت لتنصرف ·· وكحائط مسدود وقف حمدى يهدر بكلماته المحتدة

ـ أتصدقينه ·· وأنا ··· أهكذا ينتهى الامر ·· « يسرية » ··

ـ ليس الموضوع صدقا أو كذبا ·· بل هو شعور تطرق اليه الشك ·· ليت الشعور تحكمه الارادة ·· اذن لقضيت على ذلك الشك ·· الذى يهدم أجمل أمل كنت أملكه فى حياتى ·· حمدى ·· هكذا انتهى ما بيننا حقا ·· فاغفر لى انى لا استطيع أن أهبك نفسى ·· وخفقة شك ·· تسكن بين جنباتى نحوك ··

أما أنت ·· فقد تحقق ما تريد ·· فاسعد بانتصارك · ·الاخير ··

··· حدجتنى بنظرة احتقار ··· اماتت فى كل شعور بالكرامة واحيت فى نفسى زهو الانتقام منها ·· تلك التى لم تشعر بى يوما فى حياتها ··

فكت الخطبة ·· وتحقق ما أريد ·· وجاء صوت حمدى نهاية ثورته ·· من أجل لا شىء ··

ـ عرفت الآن قيمة المبارزة · ليست من الهمجية فى شىء كما يدعون ··· ولكنها الوسيلة الوحيدة ·· للقضاء على أمثالك ·· المبارزة ·· وسيلة لاضافة الكمال للقانون ·· الذى لا يستطيع أن يدين بغير أدلة قاطعة اما المبارزة ·· فهى حكم ·· بناء على دليل واضح ·· وان لم يكن قاطعا ·· حقيقة ·· حكمها الاخير للاقوى ·· ولكن كرامة الانسان لن تكون جديرة ان لم تساندها القوة للمحافظة عليها ·· والا ·· فالموت أشرف ·· انزوج مثلا المخدوع فى امرأته ·· الاشاعات تصل الى أذنه ·· لكنه لا يملك الدليل·· حتى يثأر أو على الاقل ينفصل عنهما ليس هناك من وسيلة سوى أن يسكب كوب ماء فى وجه عشيق زوجته·· فتقوم المبارزة·· ليثأر لشرفه المهدر فى نبل وشجاعة ··والنهاية ·· البقاء لمن يجدر له البقاء ··· وها هى كوبة الماء اسكبها عليك·· فهل تبارزنى؟

وثبت سريعا ·· فلم تصبنى سوى قطرات ماء متناثرة ··· أجبته بضحكة ساخرة · ولكن القانون يمنع المبارزة·· الآن ·· الا تدرك هذا ··؟

رثيت له ·· صديق العمر ··· أوصدت بابها دونى غدرا وخيانة ·· وأوصدت أنا بابها دونه ·· بذليل لا أملكه ·· ما أقوى انتصارى وما أجمل زهو نفسى ·· منطق الشك ·· هو سلاحى الحاد ··· دائما فى خدمتى ·

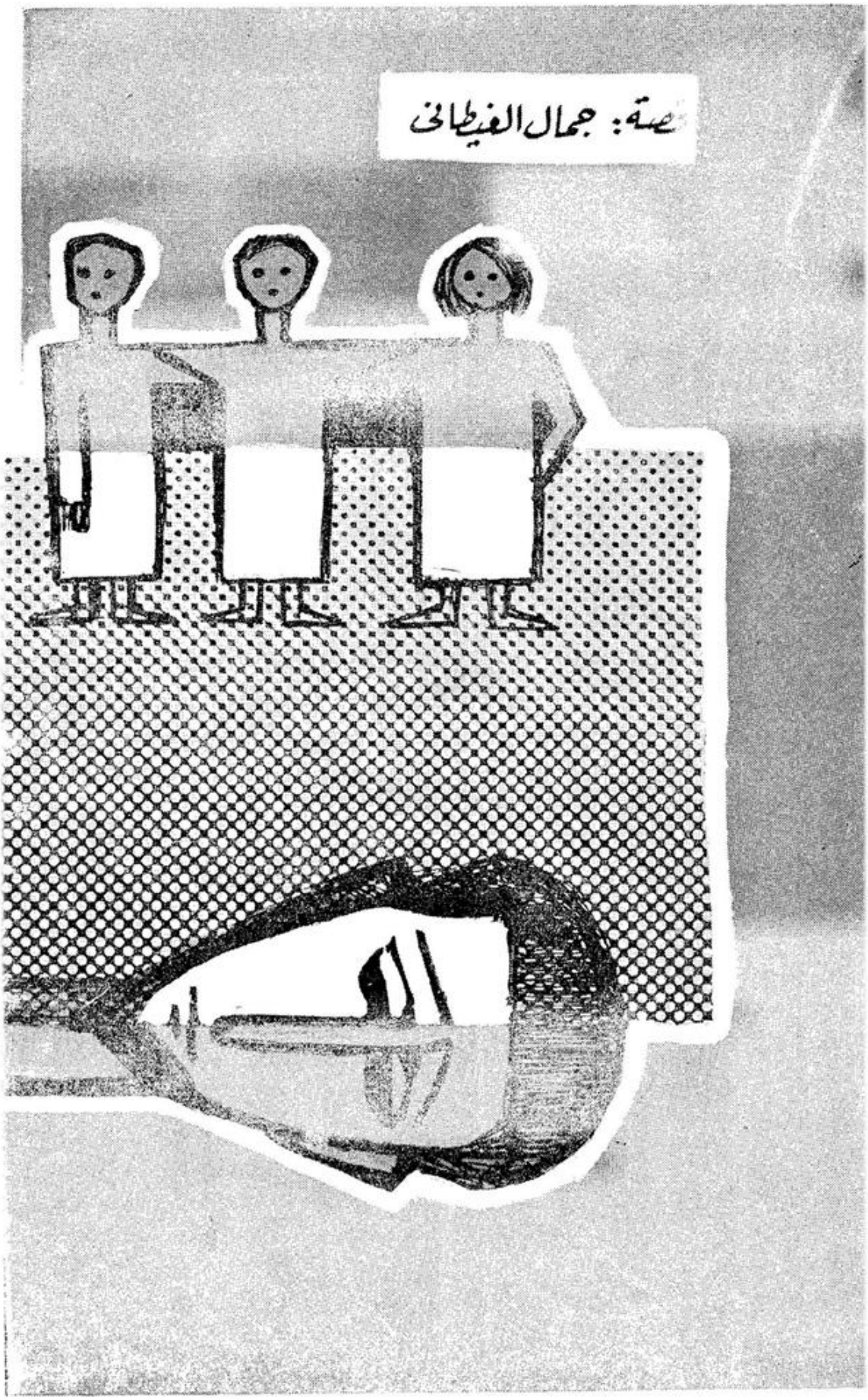
قصة: جمال الغيطانى